شهرية السينما

أحسن سنوات حياتنا إخراج وليم ويلر (ر. ك. و)[1]

يعالج هذا الفيلم مشكلة اجتماعية نشأت حين عاد كل مجند إلى بلده وقد نال القتال شيئا من نفسه أو شيئا من جسمه ، فعانى كثيرا من المشقة واليأس فى أن يجد لنفسه مكانا فى هذا المجتمع الجديد الذى صهرته سنو الحرب فبدلت منه وغيرت نظامه وتفكيره . فهذا أب عاد من الميدان فوجد مصاعب جمة ليحتل مكانه بين أسرته وليقوم بأعماله فى المصرف . وهذا شاب كان ضابطاً فى الطيران يشق عليه أن يعود إلى مركزه المتواضع فى بلدته حيث كان يعمل بائعاً فى أحد المتاجر . وهذا بحار قد بترت يداه فلم يجد من أسرته أو أصدقائه عونا يشجعه على أن يرتد مكانته إنسانا .

فى الحالة الأولى يعود الأب إلى أسرته بعد أن قضى سنين بعيداً عنها ، فيشق عليه أن يحيا معها حياة رب الأسرة فيجوب بها أنحاء المدينة متنقلا من حانة إلى حانة كأنه جندى فى إجازة قصيرة ، ويعود إلى عمله وقد نسى أن الأعمال المالية تستنكر كل الاستنكار شعور الشفقة والانسانية، فيترتب على ذلك مشاكل عدة بين هذا الموظف الانسانى الشفيق وبين إدارة المصرف .

وفى الحالة الثانية نجد شابا كان ضابطاً يتمتع بسلطة مطلقة يأمر فيطاع ، يعود إلى عمله بائعاً يتحكم فيه مديرو المتجر ويتحكم فيه عملاء المتجر وهو مذعن لنزوات أولئك وهؤلاء . وهذه الحال التى تبدلت فجعلته مأموراً بعد أن كان آمرا ، مطيعاً بعد أن كان مطاعا ، وهذه النقود القليلة التى يكتسبها من هذا العمل المتضع ، كل هذا قد نال من نفسه وأشقاه شقاءاً مبرحا .

وأخيرا هذا الشاب البحار الذى فقد يديه فعاد وقد استبدل بها يدين صناعيتين تتيحان له أن يقوم بما يريد من الأعمال ، فلم يجد من أسرته إلا إشفاقا عليه . وهذا الاشفاق لا يساعده على أن ينسى عاهته بل يزيده بؤسا ويأسا ، فينطوى على ما فى نفسه من ألم ، وتنطوى نفسه على ما فيها من عذاب . ولذلك يشقى من عطف أبويه وحب خطيبته إلى أن تجود الأقدار عليه فتهيئ له سعادة يسيرة هادئة .

كل هذه المشاكل الانسانية عرضها المؤلف ودرسها دراسة وافية ، وحللها تحليلا دقيقا ؛ ولكن تفاؤله قد أضاع من واقعية القصة ، فاصطنع لها خاتمة حسنة تدل على هذا التفاؤل الذى لا حد له ؛ فالأب يعود إلى واجبات أسرته ، والشاب يستأنف الكفاح ليحقق آماله ويصيب شيئاً من طموحه ، وذو العاهة يتزوج بمن أحب . كأن الحياة لا هم لها إلا أن تسعد الناس وترضيهم ...

لقد نال هذا الفيلم جوائز عدة للتمثيل والاخراج والقصة ، وجعلت الدعاية منه إنتاجا فنيا يثير الاعجاب . ولكنه فى الحقيقة لا يزيد عن أنه إنتاج موفق عادى قد امتاز عن الأفلام الأمريكية الأخرى لأنها ذات

---

(١) The Best Years of Our Lives (R. K. O.)

قيمة فنية ضئيلة . فالانتاج الأمريكى قد أخذ يهمل المشاكل الانسانية والاجتماعية — ما عدا قليلا من الأفلام التحليلية — ويتجه إلى الملهاة الخفيفة العابثة ، أو إلى قصص المغامرات الحربية والبوليسية . فحين يفكر مخرج أمريكى فى تحقيق قصة إنسانية أو فى معالجة مشكلة اجتماعية يعد ذلك حادثاً خطيرا فى تاريخ الصناعة السينمائية وتأخذ الدعاية تمهد له سبل النشر . كذلك كانت حال فيلم «أحسن سنوات حياتنا» . وهذا الحديث لا ينقص من قيمة الاخراج الذى ابتعد عن تصوير الحياة الانسانية تصويرا سطحيا ولا من قيمة التمثيل الذى امتاز فيه فردريك مارش خاصة فى منظر كان ثملا فيه ولا من قيمة قصته التى تجعله فى مقدمة أفلام الموسم .

الدخيل (مترو جلدوين ماير)[1]

هذا فيلم ثان يعالج مشكلة اجتماعية وليدة الحرب ولكنها أقل خطرا وعمقا من المشاكل التى يعالجها الفيلم الأول . «فالدخيل» يتجه نحو مشكلة عاطفية خالصة يعرضها علينا عرضا دقيقا لا يهمل فيه أى تفصيل . فهذه امرأة قد ذهب زوجها إلى الحرب وتركها وحيدة فى قريته ، ثم تعلم أنه قد قتل وهو يحاول أن يهرب من معسكر الاعتقال . عاشت وحيدة فى منزلها وهى معتقدة أن زوجها لم يمت حقا وأنه عائد إليها ما فى ذلك ريب . وفى ذات يوم يصل إلى المنزل صديق من أصدقاء الزوج كان فى الأسر معه وسمعه يتحدث عن زوجه ومنزله مرارا فشغف بالزوج دون أن يراها . (ويبدو هنا أن المؤلف حين وضع قصته كان قد فرغ من قراءة مسرحية «الرسول» لبرنشتين .) يصل فيعلن للمرأة حبه بعد أن أكد لها كاذبا أنه رأى زوجها يموت برصاص الألمان . وأخذ يستعطفها ويلح عليها ويزيد فى إلحاحه حتى أشفقت عليه فسمحت له بالاقامة فى المنزل إلى أن يهيئ لنفسه سبل العيش . ولكن لم تكن هذه الاقامة خالية من إلحاح الشاب على الزوجة واعترافاته بما يكنه لها من حب صادق . وأخيرا أمام هذا الالحاح العنيد وهذه الاعترافات المحمومة لا يسع المرأة إلا أن تمتثل له وتقبله زوجا . وهنا يقع ما لم يتوقعاه قط : يعود الزوج وهو على يقين أن زوجته تنتظر عودته فى لهفة شديدة ، وأنها ما زالت حريصة على حبها له وفية لما يكن لها من عاطفة . وكم كان مبلغ دهشته حين رآها قد قبلت أن يكون هذا الدخيل بديلا له . لم يثر بل هدأ من روعه ، وأدرك أن زوجته لم تقبل صديقه زوجا لها إلا وفاء لذكراه . وينتهى هذا الموقف بقتل الدخيل وبعودة الزوج إلى زوجته .

ومما لا شك فيه أن الاخراج قد نجح فى تصوير هذه القصة وتحليل نفسيتها ، وقد اصطنع المخرج لذلك أساليب عدة : إلتجأ المخرج إلى عرض الحوادث بالتقهقر ، فعرض علينا الزوجة وقد فرت هاربة إلى باريس بعد أن قتل زوجها صديقه الدخيل وفى هذا المنظر أخذت تقص علينا مأساة حبها . وكانت قصتها متقطعة ، إذ أراد المخرج أن

---

(١) Desire Me *(Metro-Goldwyn-Mayer)*

يكون للزوج نصيبه فى عرض هذه المأساة فصوره لنا وهو فى الاعتقال مع صديقه . ولم يقتصر عرض الحوادث على سرد أبطال القصة بل كانت للصورة النصيب الأكبر فى تسجيل هذه الحوادث . وقد يبدو أن هذا الأسلوب فى الاخراج قد يشوبه شئ من الاضطراب : فثمة عدة أشخاص يقصون حوادث الفيلم . غير أن المخرج قد نجح فى أن يجعل كل شخص يتحدث حين تطلب الحوادث أن يقص هذا الشخص ما وقع له من مغامرات . وكذلك نجح المخرج فى ألا يسود الاضطراب أسلوب الاخراج ، وأن ينهج نهجا لا يعوزه الابتكار .

إنه من المؤسف أن تشهد فيلما ولا تجد فيه إلا ممثلا واحدا يدرك كيف يقوم بدوره خير قيام فى حين أن الآخرين يكتفون بأن يسردوا أدوارهم سرداً دون أن يحاولوا أن تعبر وجوههم عن شعورهم الدفين . فالممثلة جرير جارسون وهى انجليزية الأصل كانت الوحيدة التى تمثل دورها تمثيلا صحيحا حيا . أما الآخرون ومنهم روبرت ميتشوم وكان يمثل الزوج وريتشارد هارت وكان يقوم بدور الدخيل ، فانهم لم يمثلوا إطلاقا . والسينما الأمريكية عامة لاتقدم ممثلين قادرين إلانادرا ، فهى تؤثر أن يكون الممثل وسيم الطلعة ، وأن تكون الممثلة ذات جاذبية جنسية شديدة . فليس للفن هناك إلا مجال ضيق وقد استأثر به من المخرجين والممثلين من هاجروا من أوربا إلى مدينة هوليوود .

مركز البوليس إخراج هـ . ج . كلوزو (ماجستيك فيلم)[1]

كان اسم الممثل لوى جوفيه ، السبب الوحيد الذى جعل النظارة تتهافت على هذا الفيلم . فانه بلا ريب ضمان كاف لنجاح أى إنتاج فنى ، وذكره فى الاعلان يجعل الجمهور يجد فى السعى لشهود القصة التى يمثلها . ومن المعروف أن الجمهور ساذج جدا ، وأنه لا يفكر مطلقاً أن ثمة مخرجين يؤثرون التجارة على الفن ، وأن ثمة ممثلين لا يأبون أن يؤجروا أسماءهم وفنهم ليروج ما ينتج هؤلاء المخرجون . وسذاجة الجمهور هذه وعبث المخرجين هما اللذان يهيئان عادة لأفلام تافهة مثل «مركز البوليس» نجاحا لا يلبث أن يزول .

لقد سمعنا عن لوى جوفيه قبل أن يصل إلى مصر أنه رجل دقيق فى عمله وفى فنه وأنه لم يقبل الحضور إلى بلادنا إلا بعد أن ألح عليه من طلبوا منه الحضور واشتدوا فى الالحاح ، فتنزل وقبل أن يمثل أمام جمهور مصر . وهذه الشائعات التى راجت حول هذا الممثل الفرنسى ، قد تدفع المرء إلى أن يعتقد أن فنانا يعتز بمكانته وبفنه لا يقبل أن يشترك فى أية رواية ولا أن يعمل تحت إدارة أى مخرج . ولكن يبدو أن ما تخيلناه شىء وأن الحقيقة شىء آخر ؛ لأن لوى جوفيه نفسه قد اشترك فى فيلم تافه أخرجه رجل يؤثر أحيانا المحاكاة على الابتكار .

وقصة «مركز البوليس» تدور حول جريمة كان ضحيتها أحد مديرى شركة سينمائية ، فيأخذ أحد مفتشى الأمن العام فى البحث عن القاتل . ولم يكن ذلك

(١) Quai des Orfèvres *(Majestic Film)*

بالشيء اليسير . فهناك ثلاثة أشخاص تحوم حولهم الشبهة : هناك شاب تزوج من غانية فلم يهدأ له بال من سوء سلوك زوجته . وكانت تلك الزوجة على موعد بالقتيل يوم الجريمة ، فذهب زوجها لينتقم من الاثنين فلم يجد إلا العاشق وقد فارق الحياة . والشخص الثالث هو فتاة تسكن بجوار الزوجين وتعلم ما بينهما من شقاق ، وقد أرادت ، حين رجعت الزوج من ميعادها الغرامى معتقدة أنها قتلت عشيقها ، أن تمحو آثار الجريمة فذهبت إلى منزل العشيق لتحضر منه الفراء التى تركتها هناك صديقتها . وكذلك نشهد بعد حدوث القتل كل إجراءات التحقيق فى مركز البوليس حتى ينتهى مفتش الأمن باكتشاف القاتل ، ولم يكن من هؤلاء الثلاثة الذين اتهموا فى بداءة القصة .

والمخرج قد لجأ إلى أسلوب أمريكى فى إخراجه . فقد حشد الحوادث المثيرة فى فلمه ، فيجعلك دائماً فى لهفة تزداد عنفا على مصير كل من المتهمين وأنت تدرك تماماً أن ليس من مسئول عن هذا القتل غير الزوجة ! وقد جعل أيضا من الصحفيين عنصر فكاهة للاضطراب الذى يحدثونه كلما خرج أحد المحققين من حجرته وأسرف فى السخرية منهم . أما المناظر الخارجية فكانت مضطربة تحقيقاً وتصويراً ، فالشاهد يشعر أنه أمام مشهد فى الاستديو لم تصل آلة التصوير إلى أن تعطيه طابعاً واقعيا .

غير أنه من العدل أن نعترف لهذا المخرج بعنايته فى بعض المناظر بالتفاصيل الدقيقة مثلا فى منظر هروب الزوج بعد أن اكتشف قتل عشيق زوجته ، وفى منظر اللبن الذى ينسكب بينما الزوج يقبل زوجته ، وفى منظر عيد الميلاد الذى لا يوحيه إلا الثلج الذى يتساقط فى الخارج .

ولم يكن الاخراج وحده الذى لم يصب حظا من التوفيق ، بل كان أيضا التصوير والصوت . فالاضاءة ضعيفة جعلت الصورة رديئة بيضاء ، وتسجيل الصوت ردىء أيضا حتى أن المتفرج لا يفهم الممثل حين يتكلم مهما كان إلقاؤه .

وإن كان الشاهد قد أخذ بحظ يسير من المتعة فقد كان ذلك لتمثيل لوى جوفيه الذى قام بدور مفتش الأمن العام ، فأخرج لنا شخصية الشرطى العنيد الذى لا ييأس من البحث والجد حتى تبدو الحقيقة ولكنه فى الواقع طيب القلب إنسانى الشعور ، ولتمثيل شارل دولان فى دور مدير الشركة السينمائية رغم قصر دوره ، ولاداء برنار بلييه فى شخصية الزوج الذى تعذبه الغيرة . ولولا تمثيل هؤلاء الثلاثة ما كنت لتجد شيئاً تذكره من هذا الفيلم .

رشدى كامل